دعوى التصحيف في اسم المكان (ظريب)

إعداد:

عايض بن محمد القحطاني

دكتوراه في اللغويات

مكتب التعليم - خميس مشيط

• **الملخص:**

رأيت أن الدكتور فضل بن عمار العماري حكم في كلامه على اسم الموضع (ظريب) أنه تصحيف لـ(طريب)؛ لوجود موضع في شرق منطقة عسير يحمل هذا الاسم، وكان أولى به أن يبحث عن اسم المكان في المصادر المتقدمة على عصر الهمداني؛ لأنني لا أعلم من أورد (ظريب) بالطاء المهملة قبله.

وللإجابة عن هذا الإشكال كان لا بد من تحديد موطن قبيلة طيئ قبل رحيلها إلى الجبلين، وتحديد اسم موطن قبيلة طيئ في اليمن قبل عصر الهمداني. فكانت هذه الورقة البحثية.

كلمات مفتاحية: ظريب – طريب – التصحيف – مجلة الدراسات اللغوية.

*****

المقدمة:

يُعرّف التصحيف بأنه تغيير في نَقْط الحروف أو حركاتها، مع بقاء صورة الخط[1]، وقد بيّن العلماء على اختلاف تخصصاتهم خطورة التصحيف وأثره في تحريف المعاني، وساقوا في ذلك أمثلة كثيرة ومتنوعة، وقد أفردوا فيه كتباً وبحوثاً، وأسماء الأماكن من أكثر ما يقع فيه التصحيف عند الباحثين، وقد كتب الدكتور فضل بن عمار العماري في التصحيف في البقاع وأسماء الأماكن، غير أنني قرأت له في مجلة الدراسات اللغوية المجلد ١٠ العدد١ ما نصه: «طريب/ (ظريب): قال معبد بن قرْط:

فقد تركوا منازلهم وبادوا كمنزل ظبي مبني (ظريب)

وإنما هو طريب: واد يفيض في تثليث، إذ يشير ياقوت إليه في انتقال طيء منه قبل حلولهم بالجبلين، ولم يذكر ياقوت رسم «طريب»، إلا أن البكري ذكره على أنه من منازل طيء الأولى، وأورد فيه قول بعض طيء:

اجعل طريباً كحبيب ينسى

بينما حافظ ياقوت على الرواية المصحفة (ظريب)»[2].

ورأيت أن الدكتور الفاضل حكم في كلامه السابق على اسم الموضع (ظريب) أنه تصحيف لـ(طريب)؛ لوجود موضع في شرق منطقة عسير يحمل هذا الاسم، وكان أولى به أن يبحث عن اسم المكان في المصادر المتقدمة على عصر الهمداني؛ لأنني لا أعلم من أورد (ظريب) بالطاء المهملة قبله، وقد نقل ذلك عنه البكري في معجمه، والحكم بالتصحيف على أسماء المواضع القديمة، ينبغي

(١) الطناحي، محمود: مقالات العلامة الدكتور محمود الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، دار البشائر، بيروت، ط٣، ١٤٣٦هـ ٢/ ٤٠٢.

(٢) مجلة الدراسات اللغوية مج ١٠، ع١(المحرم-ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ يناير-مارس٢٠٠٨م، ص٢١٤، ٢١٥.

أن يكون بعد دراسة هذه الأسماء في الكتب القديمة؛ لأن مقارنة اسم المكان القديم، باسم المكان الحديث المعهود، مظنة الزلل، وقد يظن الباحث مع هذه المقارنة أن اسمي المكان لموضع واحد، وهما في الحقيقة اسمان لموضعين مختلفين.

وعلى رغم أن أقدم ذكر لـ (طريب)، أحد منازل قبيلة طيئ في جوف اليمن قبل رحيلها إلى الجبلين، يعود إلى القرن الرابع عند الهمداني في صفة جزيرة العرب[1]، إلا أن لديه قولاً آخر في الكتاب نفسه، يرى أن (طريب) الذي كانت تسكنه قبيلة طيئ، ليس في جوف اليمن، بل في شرق منطقة عسير، وقد نبه المحقق الأكوع إلى هذا التناقض، و(طريب) هذا ليس من روافد أودية اليمن، وأظن أن هذا القول هو الذي أوهم الباحثين، بأن قبيلة طيئ كانت تسكن شرق منطقة عسير، فحكوا بأن (ظريب) تصحيف لـ (طريب).

وينبغي -قبل أن نحكم بالتصحيف على اسم الموضع (ظريب)- أن نحدد موطن قبيلة طيئ الذي خرجت منه إلى الجبلين؛ لأنه إذا ثبت أن لها مكاناً غير موضع (طريب) الذي ذكره الدكتور[2]، فإن هذا يرد القول بالتصحيف في الاسم، وينبغي -أيضاً- أن نبحث عن ذكر منزل قبيلة طيئ في العصر الذي سبق الهمداني، هل هو (ظريب) بالظاء المعجمة، أو (طريب) بالطاء المهملة.

أولاً: موطن قبيلة طيئ قبل رحيلها إلى الجبلين:

١- يجدر قبل تحديد موطن قبيلة طيئ، أن نورد قولاً مهماً لابن هشام يذكر فيه موطن جيرانهم من قبيلة الأزد؛ لما فيه من إثبات أن قبيلتي الأزد وطيئ كانوا يسكنون بلاد اليمن، وليس جهة اليمن، قال: «وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنْ الْيَمَنِ- فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ- أَنَّهُ رَأَى جُرَذاً يَحْفِرُ فِي سَدِّ مَأْرِبٍ، الَّذِي كَانَ يَحْبِسُ عَلَيْهِمْ الْمَاءَ، فَيُصَرِّفُونَهُ حَيْثُ

(١) صفة جزيرة العرب، تح محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، اليمن، ط٢، ١٤٢٩هـ.

(٢) مجلة الدراسات اللغوية مج ١٠، ع١ (المحرم-ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ يناير-مارس٢٠٠٨م، ص٢١٤، ٢١٥.

شَاءُوا مِنْ أَرْضِهِمْ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بَقَاءَ لِلسَّدِّ عَلَى ذَلِكَ، فَاعْتَزَمَ عَلَى النُّقْلَةِ مِنْ الْيَمَنِ، فَكَادَ قَوْمَهُ، فَأَمَرَ أَصْغَرَ وَلَدِهِ إِذَا أَغْلَظَ لَهُ وَلَطَمَهُ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ فَيَلْطِمَهُ، فَفَعَلَ ابْنُهُ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَقَالَ عَمْرٌو: لَا أُقِيمُ بِبَلَدٍ لَطَمَ وَجْهِي فِيهِ أَصْغَرُ وَلَدِي، وَعَرَضَ أَمْوَالَهُ. فَقَالَ أَشْرَافٌ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ: اغْتَنِمُوا غَضْبَةَ عَمْرٍو، فَاشْتَرَوْا مِنْهُ أَمْوَالَهُ. وَانْتَقَلَ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ. وَقَالَتْ الْأَزْدُ: لَا نَتَخَلَّفُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ، وَخَرَجُوا مَعَهُ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِلَادَ عَكٍّ مُجْتَازِينَ يَرْتَادُونَ الْبُلْدَانَ، فَحَارَبَتْهُمْ عَكٌّ، فَكَانَتْ حَرْبُهُمْ سِجَالاً فَفِي ذَلِكَ قَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَيْتَ الَّذِي كَتَبْنَا ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ، فَنَزَلَ آلُ جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الشَّامَ، وَنَزَلَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ يَثْرِبَ، وَنَزَلَتْ خُزَاعَةُ مَرَّا وَنَزَلَتْ أَزْدُ السَّرَاةِ السَّرَاةَ، وَنَزَلَتْ أَزْدُ عُمَانَ عُمَانَ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى السَّدِّ السَّيْلَ فَهَدَمَهُ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ»[1].

٢- قال ابن حبيب البغدادي عن الأسود بن عفار وقصته مع طيئ: «فمضى الأسود فأقام بجبلي طيء قبل نزول طيء إياها. وكان سبب قتله أن طيئاً كانوا يسكنون الجوف من أرض اليمن، وهو اليوم محلة مراد وهمدان»[2].

٣- وقال ابن حبيب أيضاً عن خروج طيئ بعد خروج الأزد من اليمن: «وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العرم فتفرقت،

(١) ابن هشام: سيرة ابن هشام، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ١/ ١٣.

(٢) ابن حبيب، البغدادي: أسماء المغتالين في الجاهلية والإسلام، تح: سيد كسروي علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٣٩.

فاستوحشوا -يعني قبيلة طيء- لذلك، وقالوا: قد ظعن إخوتنا فصاروا إلى الأرياف»[1].

٤- قال ابن قتيبة: «وخرجت طيئ من بلاد اليمن، بعد عمرو بن عامر بمدّة يسيرة، فنزلت الجبلين أجأ وسلمى، وحالفتها بنو أسد بعد إذلال من طيِّئ لها وقهر»[2].

٥- قال الهمداني: «وأما بيحان فإن لها طريقين: الصدارة واد يهريق في بيحان منه شربهم، وأهله الرضاويون من طيء وهم من بني عبد رضا، والثاني وادٍ آخر وسكان بيحان مراد إلى العطف، وأسفل بيحان والعطف يسكنه المعاجل من سبأ، ثم من وراء ذلك الغائط إلى مرخة. ورؤساء مراد بيحان آل المكرمان وهم الخساسات ويقال إن الخساسات من ولد الأشرس بن كندة وهم بيت ابن ملجم، ولآل المكرمان شرف وسؤود ومقام في مذحج»[3].

٦- قال ابن خلدون: «وأمّا بنو طيء بن أدد فكانوا باليمن وخرجوا منه على أثر الأزد إلى الحجاز ونزلوا سميراً وفيد في جوار بني أسد، ثم غلبوهم على أجا وسلمى»[4].

٧- قال الزمخشري: «مأرب: بلاد الأزد التي أخرجهم منها سيل العرم»[5].

يظهر مما سبق أن موطن قبيلتي الأزد وطيئ هو الجوف ومأرب من بلاد اليمن، وأن قبيلتي مراد وهمدان حلت محل طيئ بعد رحيلها إلى الجبلين.

---

(١) المرجع السابق، ص٤٠.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م، ١/ ٥٤١.

(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ١٩٣.

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ٢/ ٣٠٥.

(٥) الزمخشري: كتاب الجبال والأمكنة والمياه، تح: أحمد عبد التواب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣١٩هـ ص٣٦.

ثانياً: اسم موطن قبيلة طيئ في اليمن قبل عصر الهمداني:

وردت قبل عصر الهمداني بقرن من الزمان نصوص فيها ذكر لـ (ظريب)، منها:

١- قال ابن حبيب: «وكان مسكنهم -يعني طيئاً- وادياً يدعى ظريباً»[١].

٢- وقال ابن حبيب -أيضاً- بعد أن روى قصة البعير الذي سارت قبيلة طيئ في أثره حتى نزلت الجبلين: «فلما كان الخريف جاء الجمل فضرب فلما انصرف احتملوا فتبعوه، فجعلوا يسيرون بسيره، ويبيتون حيث يبيت حتى هبط بهم على الجبلين، فقال أسامة بن لؤي:

اجعل ظريباً كحبيب ينسى ... لكل قوم مصبح وممسى»[٢]

٣- قال أبو حاتم، وقال هشام، كانت اليهود تسمّى قباء قباذ بالذَّال، فسمّتها الأنصار قباء. قالوا: وعاش طيء بن أُدد خمسمئة سنة، وذكر هشام أنه سمع أشياخاً من طيئ يذرون ذلك، وأنه حمل من جبلة باليمن، وكان يقال له «ظريب» إلى جبلي طيِّئ، فنسبا إليه، وأقام بهما حيناً، وقتل العاديّ الذي كان بالجبلين وقال طيئ في ذلك:

اجعل ظريباً كحبيب ينسى ... لكل قوم مصبح وممسى

وأقام بالجبلين حتى دفن بهما وقال فيما سمعت من أشياخهم

إنَّا من الحيَّ اليما نينا ... إن كنت عن ذلك تسألينا

فقد ثوينا بظريب حينا ... ثمَّ تفرَّقنا مباغضينا

لنيَّة كانت لنا شطونا ... إذ سامنا الضَّيم بنو أَبينا»[٣]

(١) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) أبو حاتم السجستاني: كتاب المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، صححه: محمد الخانجي، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٣هـ، ص٧٢.

النتيجة:

يظهر مما سبق عرضه من الأقوال:

١- أن اسم المكان (ظريب) بالظاء المعجمة، هو المنزل الذي كانت تسكنه قبيلة طيئ في بلاد اليمن.

٢- أن اسم المكان (طريب) بالطاء المهملة، أحد منازل عبيدة في الوقت الحاضر في جنوب غرب المملكة العربية السعودية.

٣- أن وجود مكانين يحملان اسمين مختلفين، يدفع القول بالتصحيف.

٤- أن الهمداني هو أول من ورد عنده أن (طريب) بالطاء المهملة أحد منازل قبيلة طيئ، وقد أخذ بهذا القول البكري في معجمه، وتبعهما الباحثون في ذلك، دون تحقيق. والله أعلم.

ثبت المصادر

أولاً- الكتب:

- ابن حبيب، البغدادي: **أسماء المغتالين في الجاهلية والإسلام**، تح: سيد كسروي علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- الزمخشري: **كتاب الجبال والأمكنة والمياه**، تح: أحمد عبد التواب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣١٩هـ.
- السجستاني، أبو حاتم: **كتاب المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم**، صححه: محمد الخانجي، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٣هـ.
- الطناحي، محمود: **مقالات العلامة الدكتور محمود الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب**، دار البشائر، بيروت، ط٣، ١٤٣٦هـ ٢/ ٤٠٢.
- ابن قتيبة: **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- ابن هشام: **سيرة ابن هشام**، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.
- الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، تح محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، اليمن، ط٢، ١٤٢٩هـ.

ثانياً: المجلات:

- **مجلة الدراسات اللغوية** مج ١٠، ع١ (المحرم-ربيع الأول ١٤٢٩/ يناير-مارس ٢٠٠٨م، ص٢١٤-٢١٥.